اليها ففيه ضياع الوقت فيما لا يعني ومحل كون الصمت محمودا ما لم يدع الشرع
الى النطق بان تعلقت به مصلحة دينية كالابلاغ عن الله تعالى وتنبيه وتعليم
العلوم والامر بالمعروف والنهي عن المنكر عن علم والاصلاح فيما بين الناس والقول
التي هي احسن وان تقول للناس حسنا وكالكلام مع حليلته او صنعه ومن افضل الكلام
كلمة حق عند من تخاف سطوته في ثبات وسداد قال ابو علي الدقاق من سكت عن الحق
فهو شيطان اخرس اودنيوية كما يتعلق بضرورة الانسان او مصالحه ومتى استوى
الكلام وتركه في المصلحة فالسنة الامساك عنه كما في الاذكار واختلفوا في قوله
تعالى ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد فقيل يشمل المباح فيكتب وهو ظاهر الاية وقيل
لا يكتب الا ما فيه ثواب او عقاب واليه ذهب ابن عباس وغيره فقد قالوا الصمت
وفي نسخة السكوت و وقته صفة الرجال كان يسكت خوفا من الوقوع في الزلل كما
ان النطق في موضعه من اشرف الخصال كان امر بمعروف او نهي عن منكر او نحو ذلك
مما مر قال ابن حجر المكي فالتزام الصمت مطلقا واعتقاده قربة اما مطلقا او في بعض
العبادات كالصوم والحج منهي عنه ففي خبر ابي داود لا صمات يوم الى الليل وخرج
الاسماعيلي النهي عنه في الاعتكاف وروى ايضا في الصوم والتواضع اي التذلل
والتخشع او هو في البدن والخشوع في الصوت والبصر او بعضها والصواب ان التواضع
اعم من الخشوع لانه لا يكاد يستعمل الخشوع الا فيما بين الرب والعبد والتواضع
يتصور بين العباد فلا يقال خشع لمثله ويقال خضع له وقال الجنيد التواضع
خفض الجناح وكسر الجانب وقال شيخ الاسلام زكريا التواضع ان يضع العبد
لصولة الحق وقال بعضهم تذللك لمن هو دونك تواضع ولمن هو فوقك ليس بتواضع
حقيقة بل مجازا ولمن هو مثلك مجرد لطف وحسن معاشرة والصواب انه تواضع
ايضا لانه يتم الا بنزولك عن حقك ليقوم له الحق والتواضع المحمود ما كان لله
اي لاجله قال صلى الله عليه وسلم ما تواضع احد لله الا رفعه الله اخرجه مسلم
وقال صلى الله عليه وسلم اذا تواضع العبد رفع الله تعالى راسه الى السماء السابعة
رواه البيهقي في شعبه وله شواهد وقد جاء في الاخبار ان من التواضع لله
الرضا بالدون من شرف المجالس وان تبدا بالسلام على من لقيت وترد على من سلم عليك
وان لا تحب المدح والتزكية والبر فخرج ما اذا تواضع لا لله بل لاجل تحصيل
غرض دنيوي فانه حرام مذموم لقوله صلى الله عليه وسلم من تواضع لغني لاجل غناه
ذهب ثلثا دينه وذلك لان المرء يتواضع بقلبه ولسانه ونفسه فاذا تواضع لغني
بنفسه ولسانه ذهب ثلثا دينه فلو اعتقد فضله اي فتواضع بقلبه كما تواضع
له بلسانه ونفسه ذهب دينه كله لا لعلة اي من غير ان يكون تواضعا في نفسه
لقوله صلى الله عليه وسلم طوبى لمن تواضع من غير منقصة وذل في نفسه من غير
مسكنة رواه البخاري في التاريخ والخشوع لقوله تعالى قد افلح المؤمنون الذين هم
في صلاتهم خاشعون وهو السكون للحق وقبوله بالقلب عند اطلاع الرب بان

يستشعر

بان يستشعر نظر الحق اليه حتى لا يبقى فيه اتساع لغير ما هو فيه وهذه الحال احلى
مراتب الخاشعين وهي مقدمات عليا ان الهيبة ومن الزهد ايضا ومن لازم خشوع
القلب خشوع الجوارح بالسكون والانكسار والتذلل للا ان ذكرنا شيء عن خشوع القلب
ولهذا قال صلى الله عليه وسلم لما راى رجلا يعبث في صلاته بلحيته لو خشع قلب هذا
لخشعت جوارحه وقال بعضهم خشوع القلب قيد العيون اي وجميع الجوارح عن النظر
الى المشتهيات والوقوع في المنهيات وشغلها بانواع الطاعات ومن شرط الخشوع
الكامل في الصلاة ان لا يعرف المصلي من على يمينه ومن على شماله والخوف
من مكروه يناله او محبوب يفوته وهو فزع القلب وسببه تفكر العبد في المخلوقات كتفكره في تقصيره واهماله
وقلة مراقبته لربه لما يرد عليه وكتفكره فيما ذكر الله في كتابه من اهلاك من خالفه وما
اعد الله له في الاخرة وقد يعبر عنه بالفزع والروع والرهبة والخشية والكل انواع
القلب من انتقام الرب وهو ممدوح ومطلوب لقوله تعالى يدعون ربهم خوفا وطمعا
والرجا بالمد وهو سكون القلب لفضله تعالى ويقال هو تعلق القلب بمحبوب من جلب
نفع او دفع ضر يحصل في المستقبل وسببه الدوام على الاعمال الصالحة وهو ممدوح
ومطلوب لقوله صلى الله عليه وسلم حسن الظن بالله من حسن العبادة فهما زماما
النفوس اي الحافظان لها عن ان تخرج الى رعونتها واستحسا فيما ما هي عليه من
طاعتها وجزعها ويأسها من فضل ربها فانها اذا قنطت جذبها الرجا للسلامة
واذا سكنت الى حالها جذبها الخوف الى الطريق السالمة من الملامة والاولى بالعبد
اذا استقامت احواله استواؤهما اي الخوف والرجا في قلبه من غير اخلال وهو الذي
اوصى به ابو بكر رضي الله عنه بقوله ليكن العبد راغبا راهبا لا يتالى على الله ولا يقنط
من رحمته احدا ولان الغالب في القران ذكر الترهيب والترغيب مقترنين وقال عمر
رضي الله عنه لو نادى مناد من السما ايها الناس انكم داخلون النار الا رجلا واحدا لرجوت
ان اكون انا هو ولو نادى مناد انكم تدخلون الجنة الا رجلا واحدا لخشيت ان اكون انا
هو الا في حالة الاحتضار فغلبة الرجا وحسن الظن اولى لخبر مسلم لا يموتن احدكم
الا وهو يحسن الظن بالله تعالى اي يظن انه يرحمه ويعفو عنه ففي الصحيحين عن
الله تعالى انا عند ظن عبدي بي وامارة بفتح الهمزة اي علامة الخوف
ترك اي ترك الخائف ما يخاف ان يعذب هو عليه اي بسببه وليس الخائف كما قيل
الذي يبكي ويمسح عينيه مع بقائه على حاله وما هو فيه من فساد دينه بل الخوف المحمود
ما صان العبد عن الاخلال بشيء من المامورات او الوقوع في شيء من المنهيات وعلامة
الرجا كما قال شاه الكرماني حسن الطاعة بان يعمل الحسنة وهو يرجو قبولها
او يعمل السيئة ويتوب منها ثم يرجو المغفرة واما من يتمادى في الذنوب ويقول
ارجو المغفرة فيتمناها مع القيام على الزلل فهو مغرور وليس براج فحق الحازم
ان لا يزال على وجل وان حسن عمله قال الله تعالى والذين يؤتون ما اتوا وقلوبهم

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)